

﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا  
لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 88]

### ❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

بعد أن ذكر ما هدى إليه الأنبياء، وعظمه، وبين أن الصراط المستقيم هو صراط الحق، بين هنا أن تلك الهداية هي هدى الله تعالى، ولذا قال تعالى بعد قصص الأنبياء السابقين: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ﴾<sup>(1)</sup>، "ولو أشرك هؤلاء المختارون لضاعت كل أعمال الخير التي يعملونها، فلا يكون عليها ثواب"<sup>(2)</sup>.

العلاقة بين  
هدايات الأنبياء  
وصراط الله  
المستقيم بلا  
شرك محبط  
للأعمال

### ❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿لَحِطَ﴾: الحبط: وجع يأخذ البعير في بطنه، من كلاً يَسْتَوِيهِ، (يقال): حَبِطَ الإبلُ تَحَبُّطَ حَبْطًا، وَحَبِطَ عَمَلُهُ: فَسَدَ، وَأَحْبَطَهُ صاحبه، واللَّهُ مُحَبِّطُ عَمَلٍ مِّنْ أَشْرَكَ<sup>(3)</sup>، وفي حديثه ﷺ: «وإنَّ ممَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعَ مَا يَقْتُلُ حَبْطًا أَوْ يُلِمُّ»<sup>(4)</sup>، ومن المجاز: حَبِطَ عَمَلُهُ حَبُوطًا وَحَبْطًا بالسُّكُونِ، وَأَحْبَطَ اللَّهُ عَمَلَهُ، وتقول: (إنَّ عَمَلَ عَمَلًا صَالِحًا: أَتْبَعَهُ مَا يُحْبِطُهُ، وَإِنْ أَصْعَدَ كَلِمًا طَيِّبًا: أَرْسَلَ خَلْفَهُ مَا يُهْبِطُهُ)<sup>(5)</sup>، والإحباط: أن يذهب ماء الرِّكْيَةِ، فلا يَعُودَ كما كان، حَبِطَ عَمَلُهُ، وَأَحْبَطَهُ اللَّهُ: بَطَلَ ثَوَابَهُ<sup>(6)</sup>، وقوله: ﴿لَحِطَ﴾ معناه: لبطل وسقط<sup>(7)</sup>.

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2579.

(2) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص: 186.

(3) الخليل، العين: (حبط).

(4) ابن حبان، صحيح ابن حبان، الحديث رقم: (2679)، وژوي بلفظ آخر عند البخاري، ط: السلطانية،

الحديث رقم: (2842)، ويُنظر: الهروي، غريب الحديث: 1/89.

(5) الرَّمْخَشَرِيُّ، أساس البلاغة: 1/165. (حبط).

(6) الجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة، والزاغب، المفردات: (حبط).

(7) الألوسي، روح المعاني: 4/204.

## ❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

بيان هدى الله  
الَّذِي يَهْدِي  
به الصَّفْوَةَ،  
ويحبُّ أَعْمَالَ  
مَنْ أَشْرَكَ

يخبرُ اللهُ تعالى أنَّ "ذلكَ الَّذِي حصلَ لَهُمْ مِنَ التَّوْفِيقِ هو توفيقُ اللهِ، يوفِّقُ له مَنْ شاءَ من عبادِهِ، ولو أشركوا مع اللهِ غيرَهُ لبطلَ عملُهُمْ؛ لأنَّ الشُّرْكَ مُبْطِلٌ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ"<sup>(1)</sup>، وقوانينُ العملِ والجزاءِ لا تحابي أحداً، فلو أنَّ الرُّسُلَ والأنبياءَ أشركوا باللهِ - على سبيلِ الفرضِ والتَّقديرِ - لأبطلَ اللهُ عملَهُمْ، ولعاقبَهُمْ على فعلِهِمْ بأشدَّ العقوبةِ؛ لأنَّ الشُّرْكَ مُحِبٌّ لِلْأَعْمَالِ، ومُخَيِّبٌ لِلْأَمَالِ؛ ولكنَّ الأنبياءَ معصومون، ولا يُتَصَوَّرُ منهم ذلك.

## ❁ الإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

الاستئناف لنفي  
العجب تأكيد  
لتعلُّق ذلك  
بمشيئة الله  
تعالى

**براعة الاستئناف البياني في قوله: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾:**

لما ذكرَ في آخرِ الآيةِ السَّابِقَةِ، أنَّه هداهم الصُّرَاطُ المستقيمَ، استأنَفَ لنفي العجبِ من ذلك، إذ إنَّه مُتَعَلِّقٌ بمشيئَةِ تعالى، فهو "استئنافٌ بيانيٌّ؛ أي: لا تَعْجَبُوا مِنْ هَدِيهِمْ وَضَلَالِ غَيْرِهِمْ"<sup>(2)</sup>، فجيءَ بالاستئنافِ عَقِبَ الصُّرَاطِ المستقيمِ؛ "بياناً لِكَمالِهِ، وتعظيماً لِفَضْلِهِ وإِفْضالِهِ"<sup>(3)</sup>.

**نكتة التعبير بالفضل في قوله: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾:**

الفَذْلُكة: هي أن تأتي بمعنى خلاصةٍ أو مجملٍ ما قد ذُكِرَ بالتفصيلِ، فبعد أن ذكرَ تعالى فضائلَ الأنبياءِ، و"بَيَّنَّ مراتبَهُمْ وطبقاتَهُمْ: تارةً بالإحسانِ، وتارةً بتفضيلِهِمْ على العالمين، وأخرى بالاجتناءِ والهدايةِ على صراطِ مستقيمٍ، فَذَلِكَ ذلكَ بقوله: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾"<sup>(4)</sup>.

ما مرَّ من بيان  
فضائل الأنبياءِ  
والصَّالحينَ،  
إنَّما هو من  
هدايةِ الله  
ومشيئَتِهِ

(1) جماعة من العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم: 1/138.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/350.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 7/180.

(4) الطَّبَّي، فتوح الغيب: 6/153.

**فائدة التعبير عن هدى الله تعالى باسم الإشارة في ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ﴾:**

في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾، أشار تعالى "إلى ما يفهم من النظم الكريم، من مصادر الأفعال المذكورة"<sup>(1)</sup>، فهو إشارة إلى جميع ما مر، وفائدة التعبير عن ذلك باسم الإشارة: زيادة الاهتمام "بشأن الهدى؛ إذ جعل كالشيء المشاهد، فزيد باسم الإشارة كمال تمييز"<sup>(2)</sup>.

**يُثَارُ التَّعْبِيرُ بِاسْمِ إِشَارَةِ الْبُعْدِ، فَقَالَ: ﴿ذَلِكَ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: (هَذَا):**

أثر التعبير عن الإشارة بصيغة البعد في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي﴾؛ للدلالة أنه "الهدى العظيم الرتبة"<sup>(3)</sup>. والهدى عطية الله للصفوة من عباده المخلصين، وهو توفيق جليل، وتسديد أثيل، يستحق أن يُشار إليه باللفظ الدال على المكانة والعظم.

**دلالة إضافة الهدى إلى الله تعالى في قوله: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ﴾:**

في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ﴾ أضاف الهدى إلى الله تعالى، لفائدتين: الأولى: تعظيم الهدى، وتشريف له بنسبته إليه سبحانه تعالى، فنسبة الشيء إلى الله "المستجمع لصفات الكمال"<sup>(4)</sup> يفيد تعظيم ذلك الشيء، والفائدة الثانية: تفصح بأن الهدى مختص به تعالى<sup>(5)</sup>.

**دلالة الجملة في قوله: ﴿يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾:**

الجملة الفعلية في قوله جل شأنه: ﴿يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾، "في محل النصب حال من الهدى"<sup>(6)</sup>، ودل التقييد بالحال على تخصيص هدى الله تعالى بهيئة الاختيار والاصطفاء، فالهدى ليس مطلقاً عن مشيئة الله تعالى، فلذا عبّر بالحال لبيان ذلك القيد.

الإشارة إلى الهدى مبالغة في ظهوره، وكأنه مُشَاهَدٌ للعيان

الإشارة بصيغة البعد دالة على عظم رتبة الهدى

أضاف الهدى إلى الله تعالى؛ تعظيماً للهدى، وبياناً لاختصاصه به

دلّت الجملة على الحال تقييداً للهداية بمشيئته تعالى

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/159.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/350 - 351.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 7/180، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/159.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 7/180، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/159.

(5) القونوي، حاشية على البضاوي: 8/181.

(6) الهريري، حقائق الرّوح والريحان: 8/474.

## التعبير بالفعل المضارع في قوله: ﴿هُدًى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ﴾:

التعبير عن  
الهداية بالفعل  
المضارع للدلالة  
على استمرارية  
الهدى وتجديده

في قوله جلَّ شأنه: ﴿ذَلِكَ هُدًى اللَّهِ يَهْدِي﴾ عبّر عن الهداية بالفعل المضارع للدلالة على أن الهدى فعلٌ مُتجدّد؛ لأنَّ هداية الله تعالى لا تنقطع، وإن انقطع الأنبياء فهي مُستمرّة مُتجدّدة، ونور النبوات يبقى مُعظماً عند المؤمنين، مهما امتدَّ الزمان، وطالت الآماد، وقد تجلّى هدى الله في صورة تمامه وكماله في النبوة الخاتمة التي تجسّد مفهوم التّجدد، وتعكس ملمح الاستمرار إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

## دلالة الباء في قوله: ﴿يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾:

الهداية تكون  
بهدى الله لا  
بغيره، وهي  
التعاليم الموحى  
بها إلى رسله

دلّت الباء على الواسطة: "أي: بواسطة الإقامة عليه"<sup>(1)</sup>، وذلك للدلالة على أن الهداية تكون به لا بغيره، وفي ذلك دلالة على أن المراد به منهجٌ وتعاليمٌ ووصايا، وليس مجرد معنى، فلو كان مجرد معنى؛ لكان التّقدير: يهديهم بالهداية، ومن هنا تظهر براعة تعبير البقاعي ودقته، إذ قال: "بواسطة الإقامة عليه"<sup>(2)</sup>؛ أي: الإقامة على التعاليم التي هداهم إليها بالوحي.

## غرض تكرار لفظ الهداية في قوله: ﴿هُدًى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ﴾:

جناس  
الاشتقاق  
تجميل  
للألفاظ، وتبريز  
للمعاني

من أساليب البلاغة الرّفيعّة في قوله تعالى: ﴿هُدًى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ﴾ تكرارٌ مجيء لفظين من جذرٍ واحدٍ، ف (هُدًى) و(يَهْدِي) كلاهما من الجذر (هُدًى)، وهذا يُسمّى: جناس الاشتقاق<sup>(3)</sup>، والغرض من ذلك تأكيد الهداية من خلال تكرار ألفاظها.

## نكتة تقديم الجارّ والمجرور (به) على المفعول به في الآية:

في قوله جلَّ شأنه: ﴿يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾، قدّم الجارّ والمجرور

(1) البقاعي، نظم الدرر: 7/180، والقونوي، حاشية على البيضاوي: 8/181.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 7/180.

(3) الهريري، حقائق الرّوح والزّحان: 8/487.

على المفعول به؛ لتضمُّنه الضَّميرَ العائدَ على هدى الله تعالى؛ تنويهاً به واهتماماً؛ لأنه هو المعنى بالسياق.

### نكتة التعبير بالاسم الموصول في قوله: ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾:

في قوله جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾، جعل الاسم الموصول معمولاً لفعل الهداية "إشارةً إلى عِلِّيَّةِ مَضْمُونِ الصَّلَةِ" (1)؛ فالهداية لأحدٍ ما، إنما هي بسبب مشيئته تعالى، ومشية الله لا يعزبُ عنها أمرٌ من أمورِ الحاضرِ أو المصيرِ، فلا شيء يقَعُ، أو يُتَوَقَّعُ إلا بمشيئة الله، وهو جوهرُ الإيمانِ بالقضاءِ والقدرِ الذي تُعْهَدُ الأمورُ فيها إلى المشيئة، وقوعاً وانتفاءً، وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 112].

### دلالة الاسم الموصول في قوله: ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾:

عبر بالاسم الموصول الدال على العموم؛ لأنَّ الله يهدي الأنبياء وغيرهم، وأنَّ هدايته لا تختصُّ بأحدٍ، وفيه كذلك دلالة على "الإبهام، ما يبعثُ النفوسَ على تَطَلُّبِ هُدَى الله تعالى والتَّعَرُّضِ لِنَفَحَاتِهِ، وفيه تعريضٌ بالمُشْرِكِينَ الَّذِينَ أَنْكَرُوا نَبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ حَسَداً" (2).

### فائدة تعليق الهداية بمشيئة الله تعالى في قوله: ﴿يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾:

لما أخبر تعالى أنَّه يهدي مَنْ يشاءُ، فإنَّ هذا "دليلٌ على أنَّ الهدى بمشيئة الله تعالى" (3)، فلمَّا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فإنَّ مَنْ تَحَقَّقَ لَهُ الهدى عِلِمَ أَنَّ الله تعالى "مُتَفَضِّلٌ عَلَيْهِم بِالْهُدَايَةِ" (4)، قال الرَّازِيُّ: "واعلم أنَّه يجبُ أن يكون المرادُ من هذا الهدى هو مَعْرِفَةُ التَّوْحِيدِ، وَتَنْزِيهِهِ الله تعالى عَنِ الشُّرْكِ؛ لَأَنَّهُ قَالَ بَعْدَهُ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ

التَّعْبِيرُ  
بِالْمَوْصُولِ  
دَالٌّ عَلَى عِلَّةِ  
الْهُدَايَةِ، وَهِيَ  
مَشِيئَتُهُ تَعَالَى

دلالة الموصول  
على العموم  
تأكيدٌ لعموم  
المشيئة الإلهية  
الحكيمة

علَّقَ الهدايةَ  
بمشيئته تعالى  
بياناً لتفضُّله  
على خلقه بها

(1) الألوسي، روح المعاني: 4/204.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/351.

(3) أبو حيان، البحر المحيط: 4/577.

(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 2/171، والألوسي، روح المعاني: 4/204.

عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»، وذلك يدلُّ على أنَّ المراد من ذلك الهدى ما يكون جاريًا مجرى الأمر المضادَّ للشُّركِ<sup>(1)</sup>، والله لا يفضِّل إلا بما فيه مصلحة العباد العاجلة والآجلة؛ وفي مشيئته بهداية مَنْ يشاء هدايته نفع الدُّنيا، وفوز الآخرة؛ ولا نفع إلا منه، ولا هداية إلا به، ولن ينفع العبد في ذلك غير الله، قال تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ (١٧) [الكهف: 17].

معنى (من) في ﴿مِنْ عِبَادِهِ﴾:

في قوله: ﴿يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: تدلُّ ﴿مِنْ﴾ على البيان؛ لبيان الذين يشاء لهم الهداية: أنَّهم من عبادِه؛ لأنَّ لفظ العباد يدلُّ على التَّكريم، وحُسن المكانة، ولو دلت ﴿مِنْ﴾ على التَّبْعِيض لكان بعض أولئك العباد غير مشمول بالهداية، وهذا يناقض التَّكريم؛ لذا فإنَّ ﴿مِنْ﴾ بيانيَّة؛ لتبيين أنَّ مَنْ شاء لهم الهداية، فهم عباده ﷺ.

سرُّ التعبير بلفظ ﴿عِبَادِهِ﴾:

عبَّر النظم في قوله جلَّ شأنه: ﴿يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ عن الذين شاء الله تعالى لهم الهداية بلفظ (العباد)؛ لأنَّ هذا اللفظ مُستعملٌ في التَّكريم دون (العبيد)، وفي ذلك يقول ابن عطية نقلًا: "قال القاضي أبو محمد: والذي استقرت في لفظة العباد: أنَّه جمع (عبد) متى سيقَّت اللفظة في مضمار التَّرفيع، والدَّلالة على الطَّاعة، دون أن يقرن بها معنى التَّحقير، وتصغير الشَّانِ"<sup>(2)</sup>، فلمَّا كان السَّيِّاق في تَكريمهم بالهداية ناسبه لفظ ﴿عِبَادِهِ﴾.

فائدة إضافة العباد إلى ضمير الجلالة في قوله: ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾:

أضاف العباد إلى الضمير العائد لله ﷻ تكريماً لهم؛ إذ اختصَّهم

دلالة السَّيِّاق  
على أنَّ مَنْ  
شاءَ لهم  
الله الهداية،  
هم عباده  
الصَّالحون

لفظ (العباد)  
مُستعملٌ في  
السَّيِّاق، وهو  
الأنسب للتَّكريم  
بالهداية

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 13/54.

(2) ابن عطية، للحزَّ الوجيز: 1/461.

إضافة العباد  
إلى الله تعالى  
محض تكريم  
لهم، وتنويه  
بشأنهم

به تعالى، وهذا التَّكْرِيمُ بإضافتهم إلى الله تعالى مناسبٌ لسياق الحديث عن تعلق الهداية بمشيئته ﷻ؛ إذ الهداية منحةٌ يستحقها أولئك المكرَّمون.

**دلالة ذكر الشُّرك بعد ذكر الهدى في قوله: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ﴾**  
**﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا﴾:**

بعد أن ذكر ﷺ الهدى للأنبياء المذكورين، ذكر الشُّرك بعده؛ تهديدًا لمن ترك الهدى<sup>(1)</sup>؛ أي: "لو أشركوا مع فضلهم وتقدمهم، وما رُفِعَ لهم من الدَّرَجَاتِ، لكانوا كغيرهم في حُبُوطِ أعمالهم"<sup>(2)</sup>، وفي ذلك بيانٌ لفداحة جرم الشُّرك، وتقبيحٌ له.

**دلالة الشَّرْطِ بـ (لو) في قوله: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا﴾:**

قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، عبَّرَ عن عِظَمِ الشُّركِ بـ (لو) الشرطيَّة التي تدلُّ على عقدِ السَّبَبِ بَيْنَ الجملتين بعدها؛ للدَّلالةِ على امتناع الشرط<sup>(3)</sup>، فلو تحقَّق شركهم لبطلَ عملهم، وفي ذلك دلالةٌ على عِظَمِ الشُّركِ بالله تعالى؛ "أي: لو أشركوا، وهو مُمتنعٌ عليهم لاختيارِ الله، لحبَطت أعمالهم، وهو أيضًا مُمتنعٌ لامتناع الشرط"<sup>(4)</sup>، فعبَّرَ بـ (لو) الشرطيَّة "للتَّحريضِ على الوحْدانيَّة، وتركِ الشُّركِ تركًا تامًّا، وبيانِ أنَّه يُحبَطُ كلُّ عملٍ يُظَنُّ فيه الخيرُ، ألا ترى أنَّه يُحبَطُ عملُ الأنبياءِ وهداهم، فكيف لا يُحبَطُ عملُ مَنْ دونهم، فالنَّصُّ تقبيحٌ للشُّركِ، أيًّا كانت صورته، وحثٌّ لهم على فعلِ الخيرِ، وحمايته بالوحدانيَّة"<sup>(5)</sup>.

ذكر الهدى  
والتنويه به من  
غاياته التَّحذيرُ  
من الشُّركِ  
ومعيبته

تحقُّق الشُّركِ  
مُتَسَبِّبٌ في  
بطالين العملِ،  
مِمَّا يدلُّ على  
فداحة الشُّركِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 7/181.

(2) أبو حيان، البحر المحيط: 4/577.

(3) ابن هشام، مغني اللبيب، ص: 337 - 340.

(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2579.

(5) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2580.

## نكتة دخول اللّام في: ﴿لَحَبِطْ﴾:

الدّلالة على  
تأكيد تحقّق  
الحبّط؛ إذا  
تحقّق الشّرك

في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، دَخَلَتِ اللَّامُ عَلَى (حبط) لَأَنَّهَا رَابِطَةٌ لْجَوَابِ (لو) <sup>(1)</sup>؛ تَأْكِيدًا عَلَى قُوَّةِ التَّرَابِطِ بَيْنَ الْفَعْلَيْنِ (الشّرك، وحبط العمل)، فَهِيَ تَدُلُّ عَلَى تَحَقُّقِ الْجَوَابِ وَتَأْكِيدِهِ، "لَأَنَّ تَوْحِيدَ اللَّهِ تَعَالَى، لَمَّا كَانَ مُنْتَهَى الْكَمَالِ الْمُزَكِّي لِلْأَنْفُسِ كَانَ ضِدُّهُ - وَهُوَ الشّركُ - مُنْتَهَى النّقْصِ وَالْفَسَادِ الْمُدْسِي لَهَا، وَالْمُفْسِدُ لِفَطَرَتِهَا، فَلَا يَبْقَى مَعَهُ تَأْثِيرٌ نَافِعٌ، لِعَمَلٍ آخَرَ فِيهَا، يُمَكِّنُ أَنْ يَتَرْتَّبَ عَلَيْهِ نَجَاتُهَا وَقَلَا حُهَا" <sup>(2)</sup>.

## بلاغة المجاز في التعبير بالحبط:

بطادن الأعمال  
بما كان يُرجى  
منه النّفع،  
كموت الإبل  
بالأكل المرْتجى  
منه النّفع

في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، عَبَّرَ النّظْمُ عَنْ فُسَادِ أَعْمَالِهِمْ وَبَطْلَانِهَا بِالْفِعْلِ (حبط) الَّذِي يَدُلُّ عَلَى انْتِفَاخِ بَطُونِ الْإِبِلِ، بِسَبَبِ تَنَاوُلِهَا مَا كَانَ يُرْتَجَى مِنْهُ النّفْعُ، وَلَكِنَّهُ آلَ إِلَى أَنْ يَكُونَ سَبَبًا لِمَوْتِهَا، "فَإِطْلَاقُهُ عَلَى إِبْطَالِ الْأَعْمَالِ تَمَثِيلٌ؛ لِأَنَّ الْإِبِلَ تَأْكُلُ الْخُضَرَ شَهْوَةً لِلشَّبَعِ، فَيُؤَوَّلُ عَلَيْهَا بِالْمَوْتِ، فَشَبَّهُ حَالَ مَنْ عَمَلَ الْأَعْمَالَ الصّالِحَةَ لِنَفْعِهَا فِي الْآخِرَةِ، فَلَمْ يَجِدْ لَهَا أَثَرًا، بِالْمَاشِيَةِ الَّتِي أَكَلَتْ حَتَّى أَصَابَهَا الْحَبِطُ، وَلِذَلِكَ لَمْ تُقَيَّدِ الْأَعْمَالُ بِالصّالِحَاتِ، لظهور ذلك التّمثِيلِ" <sup>(3)</sup>.

## نكتة تقديم شبه الجملة ﴿عَنْهُمْ﴾:

تقديم تحقّق  
الخسران تفجّيع  
لهم قبل ذكر  
ماذا خسروا

في قوله جلّ شأنه: ﴿لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، وَأَصْلُ الْكَلَامِ: (لحبط ما كانوا يعملون عنهم)، فَقَدَّمَ شَبَهَ الْجُمْلَةِ: ﴿عَنْهُمْ﴾، تَعْجِيلًا بِذِكْرِ الْمَحْذُورِ، وَهُوَ تَحَقُّقُ الْخُسْرَانِ لَهُمْ قَبْلَ ذِكْرِ مَا خَسَرُوا؛ اهْتِمَامًا بِالشَّخْصِ الَّذِي خَسِرَ، قَبْلَ النَّظَرِ إِلَى

(1) الهرري، حقائق الرّوح والزّحان: 8/475.

(2) رضا، تفسير النار: 7/492.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/332.

ما خسر، وقد خسروا ببطلان أعمالهم، كل ما كانوا يعملون من الطاعات قبل ذلك؛ لأن الله لا يقبل مع الشرك من الأعمال فتيلًا ولا قطميرًا<sup>(1)</sup>.

### غرض التعبير بـ (ما) ومعناها:

في قوله جلَّ شأنه: ﴿لَحِيطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، عبّر باسم الموصول (ما) الدال على العموم؛ للدلالة على عموم ما عملوا، وفي ذلك تغليظ عليهم بفساد جميع أعمالهم، والغرض من ذلك بيان قباحة الشرك، والتنويه بعظم جرمه.

اسم الموصول  
(ما) الدال على  
العموم، أفاد  
فساد جميع  
أعمالهم

### التعبير بـ (كان) والفعل المضارع في قوله: ﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

في قوله جلَّ شأنه: ﴿لَحِيطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ قرن بين (كان) والفعل المضارع؛ للدلالة على الاستمرار والتجدد، فكل أعمالهم الصالحة التي عملوها، وهم الآن مستمرّون بعملها، باطلة؛ فالبطلان مُتجدد مُستمر كذلك.

دلالة السياق  
على تجدد  
بطان الأعمال  
الصالحة مع  
الإشراك بالله

### إطلاق العمل وإرادة العمل الصالح:

في قوله جلَّ شأنه: ﴿لَحِيطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، دل الموصول ﴿مَا﴾ على العموم، وجاء لفظ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ مطلقًا، فدل ذلك على جميع الأعمال، غير أن المراد هو فساد الأعمال الصالحة فقط، وهي الأعمال التي كانوا ينتظرون الخير منها، وفي بيان ذلك يقول العلامة ابن عاشور: "المراد بالأعمال: الأعمال التي يتقربون بها إلى الله تعالى، ويرجون ثوابها بقرينة أصل المادة ومقام التحذير؛ لأنه لو بطلت الأعمال المذمومة لصار الكلام تحريضًا، وما ذكرت الأعمال في القرآن مع (حبط) إلا غير مقيدة بالصالحات اكتفاءً بالقرينة"<sup>(2)</sup>.

الدلالة على  
فساد الأعمال  
الصالحة بدلالة  
(حبط) ما كان  
يرتجى خيره

(1) القَوَجِّي، فتح البيان: 4/187.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/333.

## إثناز التعبير بـ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ دون يفعلون:

العمل: ما كان  
بعلم وقصد،  
والفعل: ما عري  
عن القصد

في قوله: ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أثر التعبير بالفعل ﴿يَعْمَلُونَ﴾ دون (يفعلون) أو غيره؛ لأنه أراد الأعمال الصالحة التي كانوا يعملونها؛ وهذه الأعمال تكون بقصد ونية، قال الراغب: "العمل: كل فعل يكون من الحيوان بقصد، فهو أخص من الفعل؛ لأن الفعل قد ينسب إلى الحيوانات التي يقع منها فعل بغير قصد، وقد ينسب إلى الجمادات، والعمل قلما ينسب إلى ذلك" (1).

## ❁ الفرق المغمية:

(حبط) و(بطل):

الإحباط: إبطال  
أعمال البر  
بجرائر الإثم،  
والبطلان:  
الفساد وانتفاء  
الحلية

"الإحباط: هو إبطال عمل البر من الحسنات بالسيئات، ومنه قوله تعالى: ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ [هود: 16]، وهو من قولك: حبط بطنه؛ إذا فسد بالمأكّل الرديّ" (2)، و"الباطل: من (بطل اللحم)؛ إذا دود وسوس، وصار بحيث لا يمكن الانتفاع به" (3)، ف (حبط) يدل على فساد ما كان صالحاً يتوقع نفعه، فالحسنات تحبط بالسيئات، كما يحبط البطن بالمأكّل الفاسد؛ فلذا عبر عن أن الشرك بعد الهداية يحبط العمل الذي كان صالحاً، فخسارة الحسنات كانت بسبب فعلهم، كما أن انتفاخ بطن الدابة يكون بسبب الأكل.

(العمل) و(الصنع):

الصنع: يقتضي  
العلم والجودة،  
والعمل: لا  
يُشترط فيه ذلك

الصنع ترتيب العمل وإحكامه، وتقدم العلم به، وبما يوصل إلى المراد منه، ولذلك قيل للنجار: صانع، ولا يقال للتاجر: صانع؛ لأن النجار قد سبق علمه بما يريد عمله من سرير أو باب، ويعلم الأسباب التي توصل إلى ذلك، والتاجر لا يعلم إذا اتجر أنه يصل

(1) الراغب، المفردات: (عمل).

(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 236.

(3) الكفوي، الكلّيات، ص: 692.

إلى ما يريدُه من الرِّبح، فالعملُ لا يقتضي العلمَ بما يعملُ له، والصُّنْعُ يدلُّ على الجودةِ<sup>(1)</sup>، فهو أخصُّ من العملِ، فلا يقالُ إلا لما كانَ من الإنسانِ بقصدٍ واختيارٍ، وبعدَ فكرٍ وتحرُّ وإجادةٍ، فحيثما ذكرَ كافتَهُم؛ قال: ﴿لَيْتَسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 62]، وحيثما ذكرَ خاصَّتَهُم وحفظَةَ العلمِ ذكرَ: ﴿لَيْتَسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [الأنعام: 63]<sup>(2)</sup>.

### (العمل) و(الكسب):

"العملُ: المهنةُ، وأصلُ المهنةِ: العملُ باليد، ورجلٌ ماهنٌ، من قومٍ مهنةٍ، وفلانٌ يقومُ بمهنةٍ ماله؛ أي: بإصلاحِهِ"<sup>(3)</sup>، و"عملٌ عملاً، وأعمالُهُ غيرُهُ، واستعملَهُ بمعنى، واستعملَهُ أيضاً؛ أي: طلبَ إليه العملَ، واعتَمَلَ: اضطربَ في العملِ"<sup>(4)</sup>، وقيل: "العملُ: المهنةُ والفعلُ، والجمعُ: أعمالٌ، عملٌ عملاً وأعمالُهُ واستعملَهُ، واعتَمَلَ: عملَ بنفسِهِ، أنشدَ سيبويه: إِنَّ الْكَرِيمَ وَأَبِيكَ يَعْتَمَلُ \*\*\* إِنَّ لَمْ يَجِدْ يَوْمًا عَلَى مَنْ يَتَكَلَّ"<sup>(5)</sup> والكسبُ: "الفعلُ العائدُ على فاعلِهِ، بنفعٍ أو ضررٍ، وقال بعضهم: الكسبُ: ما وقعَ بمراسٍ وعلاجٍ، وقال آخرون: الكسبُ: ما فُعِلَ بجارحةٍ"<sup>(6)</sup>، أمَّا العملُ فهو يشملُ أعمالَ القلوبِ وأعمالَ الجوارحِ.

### (العمل) و(الفعل):

الفعلُ: التأثيرُ من جهةٍ مؤثِّرٍ، وهو عامٌّ لما كان بإجادةٍ أو غيرِ إجادةٍ، ولما كان بعلمٍ أو بغيرِ علمٍ، وقصدٍ أو بغيرِ قصدٍ، ولما كان من الإنسانِ والحيوانِ والجماداتِ<sup>(7)</sup>، والعملُ: كلُّ فعلٍ يكونُ من الحيوانِ

العملُ: عامٌّ غيرُ مُقَيَّدٍ، والكسبُ: خاصٌّ بما كان نافعاً أو بجارحةٍ

العملُ أخصُّ من الفعلِ؛ لأنَّ العملَ بقصدٍ ونِيَّةٍ؛ والفعلُ بهما وبدونهما

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 135 - 136.

(2) الزاغ، تفسير الزاغ: 5/392، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 2/134.

(3) ابن دريد، جمهرة اللغة: (منه).

(4) الجوهري، الصحاح: (عمل).

(5) ابن سيده، المحكم: (عمل).

(6) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 137.

(7) الزاغ، المفردات: (كسب)، (فعل).

بقصدٍ، فهو أخصُّ من الفعلِ، لأنَّ الفعلَ قد يُنسَبُ إلى الحيواناتِ التي يقعُ منها فعلٌ بغير قصدٍ، وقد يُنسَبُ إلى الجماداتِ؛ والعملُ قلَّما ينسَبُ إلى ذلك، ولم يُستعملِ العملُ في الحيواناتِ إلَّا في قولِهِم: البقرُ العوامِلُ، والعملُ يُستعملُ في الأعمالِ الصَّالحةِ والسَّيِّئةِ<sup>(1)</sup>، فلذا كان الأنسبُ للآيةِ هو العملُ؛ لأنَّ أعمالَهُم الصَّالحةَ أخصُّ من الفعلِ؛ لأنَّ الفعلَ يشملُ ما لا قصدَ له؛ والعملُ أعمُّ من (الصُّنْعِ)، ومن (الكسبِ)؛ لأنَّ الصُّنْعَ مُختصُّ بما كان بإجادةٍ، والكسبُ مُختصُّ بما له نفعٌ، وبما كان بجارحةٍ؛ فالعملُ يشملُ أعمالَ القلوبِ التي هي ليست من أعمالِ الجوارحِ؛ ولا يشترطُ في العملِ الجودةُ، بل مطلقُ العملِ.

(1) الرَّاغِب، المفردات: (عمل).

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي عشر، سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123  
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

\*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

\*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم

الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 11، 808 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-798-63-7

يشتمل على ارجاعات بيبليوجرافية.

مج. 11: سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-798-63-7

\*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-9795022 بتاريخ 2023/12/19م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

\*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

\*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»